نظرية أفعال الكلام
"تعريف بالمفاهيم"

د.مختار درقاوي
(جامعة حسيبة بن بوعلي/ الشلف).

الملخص:

تعددت واختلفت النظريات التي قاربت وعالجت المعنى ،فبعد ظهور النظرية التصورية التي تفسر المعنى انطلاقا من تصوراتنا الباطنية ،وكذا النظرية الإشارية التي تربط المعنى بالمشار إليه في الخارج ،والنظرية السياقية التي تفرض منطق الاستعمال في بحثها للمعنى ،ونظرية الحقول الدلالية التي تبحث المعنى بربط الكلمة بأقرب المداخل إليها ،بعد هذه النظريات الدلالية وغيرها ظهرت نظرية ومقاربة تداولية جديدة تدعى نظرية أفعال الكلام تعرّف / وتنظر إلى المعنى على أنّه فعل إنجازي ونشاط متحقق في الواقع .من هنا يسعى المقال إلى التعريف بهذه النظرية وبمصطلحاتها وأعلامها.

Résumé:

Nombreuses et différentes sont les théories qui ont approché et traité le sens. En effet, après l'apparition de théorie conceptuelle qui explique le sens à partir de nos concepts intérieurs, la théorie référentielle qui associe le sens au référé extérieur, la théorie contextuelle qui exige la logique de l'usage dans son étude du sens et la théorie des champs sémantiques qui traite du sens en associant le mot à son accès le plus proche; après toutes ces théories sémantiques et bien d'autres, est apparue une nouvelle approche pragmatique ayant pour nom "***la théorie des actes du langage"*** qui définit le sens en tant ***qu'acte performatif et activité accomplie*** dans le réel. Le présent article a pour objet de présenter cette théorie, sa terminologie et ses principales figures.

نص المقال

ترتبط نظرية أفعال الكلام في المعرفة اللسانية الحديثة بالفيلسوف أوستن **J.L.Austin** وتقترح هذه النظرية في تحليل العلامات اللسانية الملفوظة والمعنى الناتج عنها أداة إجرائية تكون هي المنطلق والأساس الفاعل في القراءة، تتمثل هذه الأداة في الموروث اللساني التداولي في الفعل من حيث إنّه النشاط الممكن إنجازه بتلفظنا لنوع من الجمل[1].

ومفاد الفكرة الرئيسة التي دافع عنها أوستن دفاعا مستميتا أنّ تحديد الفعل اللغوي (فعل الكلام) الذي نوظف له بصورة انتظامية جملة معينة-هو الذي يعطينا ويمنحنا معنى تلك الجملة، فأنا عندما أتلفظ قائلا: نعم إني أقبل أن تكون هذه المرأة زوجتي الشرعية ،يجب الإقرار هنا أني عندما أتلفظ وأتحدث بهذا الكلام، فأنا في حال إنجاز شيء ما، وبعبارة أدق في حال إبرام الزواج أكثر مما أنا في حال الإخبار بالشيء، وبهذا الفعل ألإنجازي لا يكون ناجحا دون أن يحدث تأثيرا على المخاطب[2].

وقد ميّز أوستن بين ثلاثة أنواع من الأفعال الكلامية:[3]

أ- **فعل قولي locutoire**: وهو فعل التلفظ بجملة مع شرط الإفادة، أي إنّه فعل لقول شيء ما، يراعى فيه قواعد اللغة، ويلاحظ عبر هذا النوع من الأفعال الكلامية عدم إبداء اهتمام بالشخص المتكلّم فاعل العبارة.

ب-**فعل إنجازي illocutoire**: يراد به الحدث الذي يقصده المتكلم بالجملة كالأمر والتحذير، ولابد أن يحدث أثرا وتأثيرا ما على المخاطَب، وتكوم قيمة العبارة به واصلة إلى تأدية المقصود.

ت-**فعل تأثيري(استلزامي) perlocutoire**: هو التأثير الذي يوقعه الحدث اللساني في المخاطَب أو المتلقي، كطاعة الأمر، وتقبّل النصيحة، وهذا النوع من الأفعال مفهوم من الخارج، ومن قرائن الأحوال.

ويمكن توضيح الأفعال كالآتي:

-الفعل ألقولي: قال لي خذ الكتاب، أي إنه تلفظ بتلك الجملة التي تعني إيقاع الأخذ.

-الفعل الإنجازي: أنجز المتلفظ أمرا، فقد أمرني بأخذ الكتاب حين تفوّه بالجملة أعلاه.

-الفعل ألتأثيري: أقنعني بأخذ الكتاب فاستجبت.

واستنادا إلى مفهوم القوة الإنجازية ميز أوستن بين خمسة أنواع للأفعال الكلامية:[4]

- **الأفعال الحكمية (الإقراري) verdictifs**:حكم، وعد، وصف.
- **الأفعال التمرسية exersitifs:** إصدار قرار لصالح أو ضد...، أمر، قاد طلب.
- **أفعال التكليف (الوعدية) comessifs:** تلزم المتكلّم،وعد، تمنى، التزم أقسم.
- **الأفعال العرضية (التعبيرية) expositifs:** عرض مفاهيم منفصلة، (أكّد أنكر ،أجاب، وهب...).
- **أفعال السلوكات (الإخباريات) comportementaux**: ردود أفعال تعبيرات اتجاه السلوك: اعتذَر، هنَّأ، حيّ، رحّب،....

إن نظرية أفعال الكلام ترتكز على مظهر دلالي مهم، وهو اعتبار تلفظاتنا وأقوالنا أفعالا وإنجازات لها نتائج وانعكاسات على باقي الأنشطة التي نقوم بها، وبهذا ينشأ المعنى عن تلك الآثار التي تحدثها الأفعال الكلامية، وهذا يدفعنا إلى ضرورة التفرقة بين هذه النظرية والنظرية السلوكية طالما هناك استجابة محققة، لعل أهم فاصل أن نظرية أفعال الكلام تقر بوجود الحالات الذهنية بخلاف الأخرى، إذ ليست المقاصد المعبّر عنها في نظرية الأعمال اللغوية سوى الحالات الذهنية.

إلا أن القرب المعلن عنه بين الحالات الذهنية (المقاصد) والأقوال التي تعبّر عنها بصفة تواضعية (الأعمال اللغوية) يجعل الحالات الذهنية شفافة إلى حدّ ما، ولا تعني هذه الحالات منظري الأعمال اللغوية (أفعال الكلام) إلا بقدر ما يتم التعبير عنها في هذه الأعمال، وهذا التصور للعلاقة بين الحالات الذهنية والكلام هو الذي قاد سيرل **Searle** إلى اقتراح مبدأ قابلية الإبانة[5].

وممّا قدّمه سيرل أيضا أنه أعاد تقسيم الأفعال الكلامية، وميّز بين أربعة أقسام:[6]

- فعل التلفّظ (الصوتي والتركيبي).
- الفعلي القضوي (الإحالي والجملي).
- الفعل الإنجازي(على نحو ما فعل أوستن)
- الفعل التأثيري(على نحو ما فعل أوستن).

وبعدها تم اقتراح خمسة أصناف، وهي كالآتي:[7]

- **الأخبار Assertifs:** وهي التي تحمل إحدى قيمتي الصدق والكذب، مثل: أخبر، أكد، زعم، شرح...
- **الأوامر أو التوجيهات Directifs**:وهي الأفعال التي يكون الغرض منها أن يجعل المتكلم المخاطَب يقوم بفعل ما، مثل: طلب، أمر، ترجى، سأل...
- **الوعود أو الالتزامات Commissifs** :والغرض منها إلزام المتكلّم بالقيام بعمل ما في المستقبل مثل: وعد، أقسم.
- **التصريحات Expressifs** :وهي التي تعبّر عن الحالة النفسية للمتكلّم مثل: شكر، هنّأ، اعتذر...
- **الإنجازات Déclarations الإدلاءات:** وهي التي بمجرد القيام بها يحدث تغيير في الخارج، مثل: عيّن، زوّج...

- الفعل الكلامي بين جمال الدين الإسنوي / وأوستن-جاك موشلار:

يتوافق تصور أوستن لأفعال الكلام مع ما تمليه الثقافة الأصولية في التراث وأقصد بذلك تصنيف جمال الدين الإسنوي، الذي اعتبر الكلام كيانا مؤلّفا من "خبر وإنشاء"[8] فقط ،وهو تقسيم تجمعه كما أشرنا آنفا قواسم مشتركة مع التصنيف الثنائي للكلام الذي انتهى إليه أوستن **J.Austin**.

يميّز أوستن بين نوعين من الملفوظات أو الأفعال، الأفعال الإنجازيّة (الإنشائية) **Performatifs** والملفوظات أو الأفعال الخبرية **Constatifs** [9] حيث تتميّز الأخيرة باحتمالها للصدق والكذب، "هي أخبار تتمثل مهمتها في وصف الظواهر والمسارات أو حالة الأشياء في الكون، ولهذه الأقوال (أو القضايا التي تعبّر عنها) خاصية تتمثل في كونها يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة"[10].

في حين الأولى – الإنشائية-بخلافها؛ لأنّها توظّف من أجل ممارسة أو إنجاز فعل ما، وليس لأجل أن تقول شيئا ما يوصف بأنّه صادق أو كاذب[11] ، فعندما يقول شخص ما:"أنكحك إحدى بناتي" فهو في حال إنجاز فعل وليس في حال إخبار، لذلك نجد جون ليونز يؤكّد بأنّ هذه الأقوال – الإنشائية- "ليس لها قيمة الحقيقة إذ نستعملها لنصنع شيئا ما لا لئن نقول إنّ شيئا ما صادق أو كاذب"[12].

وعلى الرغم من اختلاف الأرضية المعرفية لكل تصنيف سواء الأصولي أم اللساني -التداولي الحديث- فإنّ هذا لم يمنع من وجود نقاط ائتلاف تجمع التصنيفين معا، بل لاحظنا أنّ الائتلاف قد تعدّى السجلّ الاصطلاحي (الاتفاق في الأسماء: الخبر والإنشاء) إلى السجلّ ألإفهامي (المراد من كل مصطلح) ، ويمكن أن نتبيّن ذلك من خلال التصورين الآتيين:

تصوّر الإسنوي:

يقول الإسنوي :" والفرق بين الإنشاء والخبر من وجوه:

-**أحدها**: أنّ الإنشاء لا يحتمل التصديق والتكذيب، بخلاف الخبر.
-**الثاني**:أنّ الإنشاء لا يكون معناه إلّا مقارنا للفظ،بخلاف الخبر، فقد يتقدم وقد يتأخر.
-**الثالث**: الإنشاء هو الكلام الذي ليس له متعلق خارجي يتعلّق الحكم النفساني به بالمطابقة، وعدم المطابقة؛ بخلاف الخبر.
-**الرابع**: الإنشاء سبب لثبوت متعلقه، وأما الخبر فمُظهر له"[13].

تصوّر جاك موشلار Jacques moeschler:

يقول موشلار:"يحصل تمييز الملفوظات الإنشائية (الإنجازية) عن الخبرية بما يأتي:
أ- إنّها غير قائمة على ثنائية الصدق والكذب...
ب-لا تنسب أو تعزى لنشاط القول، ولكن للفعل (إنّها تنجز فعلا).
ت-إنجاز هذا الفعل هو وظيفة عملية التلفظ (الفعل هو نتاج القول)"[14].
ويمكن توضيح المقاربة من خلال الجدول الآتي:[15]

الإسنوي	موشلار
1-الإنشاء لا يحتمل الصدق والكذب بخلاف الخبر. 2-ليس له متعلق خارجي يتعلق الحكم النفساني به بالمطابقة أو عدم المطابقة بخلاف الخبر.	1-الأفعال الإنشائية لا تقيم بمصطلحي الصدق والكذب بخلاف الخبر.
3-الإنشاء سبب لثبوت متعلّقه بخلاف الخبر الذي هو مظهر له. 4-معناه لا يكون إلا مقارنا للفظ بخلاف الخبر فإنّ معناه قد يتقدم عليه أو يتأخر.	3-لا علاقة لها بالقول ولكن بالفعل (تنجز فعلا). 4-إنجاز هذا الفعل هو وظيفة لعملية التلفظ (الفعل إذن هو منتج بواسطة القول).

وعموماً، إنّ النظرية تنطلق من مقولة مالينوفسكي والتي مفادها أن «اللغة أسلوب عمل وليست توثيق فكر»[16]. وتتخذ من العلامات اللسانية المنطوقة والمنجزة في سياقات معينة وبطريقة معينة أساسا مفسرا، لذلك تتداخل المنطوقات بين التقدير والأداء وترتبط مباشرة بالموقف الذي تقال فيه، يقول جون ليونز: «يتوجب علينا في تحليل الأعمال الكلامية أن نحسب حسابا لحقيقة أن الجمل تنطق ضمن سياقات معينة وأن جزءا من معنى نقش الكلام (المنطوق) يستمد من السياق الذي ينتج فيه، ويتضح هذا تماما في إشارة التعابير المؤشرة التي يشملها السياق»[17].

هوامش واحالات

1- ينظر أوستن ،نظرية أفعال الكلام العامة-كيف ننجز الأشياء بالكلام- ، تر: عبد القادر قينيني إفريقيا الشرق، سنة 1991، الدار البيضاء،ص07.

2- J.Austin, Quand dire c'est faire , Ed du Seuil, Tra: Gille Lane .Paris, 1970, p124.

3- J.Austin, Quand dire c'est faire , p124.

وينظر أيضا نظرية أفعال الكلام، ص115،116،131،132،135،137.

4- ينظر فرانسواز أرمينكو،المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي،(د ت ط). ص62.

5- آن روبول وجاك موشلار،التداولية علم جديد في التواصل، تر:سيف الدّين دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة، (د ت ط)، بيروت.ص43.

6- J.R.Searle, Les actes de Langage (essai de philosophie du langage). collection savoir, lecture, Herman, Paris, France.1996, Nouveau tirage. P60.

7-Ibid. P62.

وينظر عادل فاخوري ،تيارات في السيمياء، ، دار الطليعة، ط1، سنة 1990 بيروت، ص 98-99.

8- جمال الدين الإسنوي ،نهاية السول في شرح منهاج الأصول، تحـ:شعبان محمد إسماعيل، بيروت، دار ابن حزم ،سنة1999 1/ 177.

9- John Lyons, Sémantique Linguistique, Traduit par Jacques Durand et Dominique Boulonnais, Paris, 1980, p346.

Et voir J.L.Austin ,Quand dire c est Faire, p40.

10- صابر الحباشة ،لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية، سورية ،دار الحوار، ط1، سنة2010، ص199.(في الكتاب مقال لجون لاينـز مترجم بعنوان الصيغة والقوة اللاقولية).

11-John Lyons, Sémantique Linguistique, Traduit par Jacques Durand et Dominique Boulonnais, p346. Et voir J.L.Austin, Quand dire c est Faire, p40.

12- صابر الحباشة، لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية، ص199-200.

13- الإسنوي ،نهاية السول، 1/ 298.

14- J. Moeschler, Argumentation et conversation pour une analyse pragmatique du discours, Hatier-Credif, 1985, p26.

15- يحي رمضان ،القراءة في الخطاب الأصولي الإستراتيجية والإجراء ،عالم الكتب الحديث، ط1، سنة 2007 ،الأردن ص272-273.(أشار مؤلف الكتاب إلى النموذجين المقترحين – الجويني و الإسنوي -).

16- عبد الرحمان بدوي، اللغة والمنطق في الدراسات الحالية، مجلة عالم الفكر،المجلد الثاني العدد الأول، سنة 1971 الكويت ص69.

17- جون ليونز، اللغة والمعنى والسياق، تر: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة ط1، سنة 1987 بغداد ،ص 200.